December 2022
Vol 4 Issue 4

Antara's poetry is between the center and the margins

Researcher Sharifi Muhammad Lamin

Sharifi @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI, PP 55-75.

Abstract: Arab society before Islam, like other societies, knew a central system that relied on the tribe as a basic nucleus for building society and enacting laws and systems to manage the affairs of social and economic life in peace and war. Anyone who did not follow the orbit of these organizations - even if they were unjust - or who opposed or criticized the central authority was marginalized. At all levels, marginalization is a human phenomenon that has not been devoid of time or place, because this is the norm of life, and the slogan of "I do not show you except what I see" is always in control, and in this research we will try to trace the reasons for the marginalization of the poet Antarah bin Shaddad al-Absi by his people, as he detailed them in the folds of his poetry, Where we extract the reasons for his disapproval and exclusion, represented by the blackness of his skin, his slavery, then his unknown lineage in the beginning of his life, and his daring to love his cousin and flirt with her in most of his poems. He went into detail in mentioning these factors affecting himself and his personality, and he also went into great detail in defending himself and imposing his deserved position.

Keywords: Hair, Antara, Center, Margin.

شعر عنترة بين المركز والهامش

الملخص: عرف المجتمع العربي قبل الإسلام كغيره من المجتمعات نظاما مركزيا يعتمد القبيلة كنواة أساسية لبناء المجتمع وسن القوانين والنظم لتسيير شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السلم والحرب ، وكل من لم يسر في فلك هذه التنظيمات – ولو كانت جائرة- أو عارض أو انتقد السلطة المركزية كان نصيبه التهميش على كل الأصعدة ، والتهميش ظاهرة إنسانية لم يخلو منها زمان ولا مكان ، لأن هذه سنة الحياة فالمسيطر دائما شعاره" لا أريكم إلا ما أرى "، وفي هذا البحث سنحاول تتبع أسباب تهميش الشاعر عنترة بن شداد العبسي من طرف قومه كما فصلها في ثنايا شعره ،حيث نستخلص أسباب استهجانه واستبعاده ، المتمثلة في سواد بشرته وعبوديته ثم نسبه المجهول في أول

حياته و تجاسره على حب ابنة عمه والتغزل بها في أغلب قصائده وقد أسهب في ذكر هذه العوامل المؤثرة في نفسه وشخصيته وأسهب كذلك في الدفاع عن نفسه وفرض مكانته التي يستحقها .

الكلمات المفتاحية: شعر، عنترة، المركز، الهامش

المقدمة

لكل أمة من الأمم أعراف يضعونها لتنظيم شؤون حياتهم وفق معتقداتهم ،ووفق نمط حياتهم الاجتماعية ثم البيئة التي يعيشون فيها والجهة الوصية على التقيد بهذه الأعراف وتنفيذها هي المركز المسيطر وكل ما شذ عن ذلك فهو مهمش منبوذ عندهم ، العرب في الجاهلية أمة امتازت بنظام قبلي عام يعتمد على ركيزة أساسية هي القبيلة التي مثلت النواة الأولى لنشأة المجتمع القبلي وهو يتشابه عند كل القبائل ويتفاوت اختلافا عند بعضهم ، تتكون القبيلة من الناحية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات مثلت الطبقة الأولي الصرحاء أو الأصلاء وهم الذين ينتمون لجد واحد فمنهم يكون السيد وراثة أو بالانتخاب و هم عماد القبلية وأساسها وتناط بهم مسؤولية حمايتها وهناك من يقوم على خدمتهم من أبناء الطبقات الأخرى أما الطبقة الثانية من طبقات القبيلة فهي طبقة العبيد و الموالي وافرادها هم من الرقيق عربا كانوا أو غير عرب ، فأما العرب فهم الذين كانوا يجلبون من البلاد المجاورة أو القبائل المجاورة اذ كانت الحروب دائمة بينهم لذلك كان السبي يطال الرجال والنساء على حد سواء فكانوا عبيدا للقبيلة الأسرة لهم .

وأما الرقيق من غير العرب فقد كان مصدره البلاد المجاورة للجزيرة العربية كالحبشة و غيرها من الأمم الأخرى. أو يكونوا م من وقعوا أسرى لدى القبيلة ولم يتمكنوا من فك رقابهم فظلوا عبيدا فيها وتعد طبقة الحلفاء الطبقة الثالثة من طبقات القبيلة ، والحلفاء هم الأحرار الذين التجأوا للقبيلة من قبائل عدة لأسباب مختلفة فقد يكونوا من الخلعاء أو من الضعفاء الذين يبغون الحماية أو ممن يطلبون المعيشة في حمي القبيلة الحالية وهنا تتولد رابطة حلف بينهم وبين القبيلة التي لجأوا إليها. ((الخطيب، ٢٠١٨))

وقد كان للشاعر في القبيلة مكانة عظيمة و خاصة اذا كان فارسا مشهورا، لكن كيف كان الحال مع عنترة بن شداد في قومه وهو الشاعر المجيد والفارس الصنديد ؟ وهو أسود من طبقة العبيد فكيف تجلى ذلك في شعره؟ هل كان من علية القوم وسراتهم ، أم كان وضيعا

مهمشا ؟

- الهدف من هذه الدراسة تبيين الاسباب التي جعلت حياة عنترة متأرجحة بين المركزية والتهميش في صراع نفسي سببه عقدة النقص عنده من اللون والعبودية .

- وتكمن أهمية الدراسة من خلال مجموعة من الاسقاطات باستخدام المنهج النفسي للأدب للوقوف على ظاهرة التهميش التي لم يخلو منها عصر من العصور، و لم تقتصر على أمة دون أخرى .

تنقسم هذه الدراسة إلى مبحثين نظري وتطبيقي.

١- **المبحث الأول** : هو الإطار المفاهيمي : نعرف من خلاله بعض المفاهيم والمصطلحات التي يرتكز عليها البحث

- **مفهوم الهامش** : لغة : الهمش الجمع ، ونوع من الحلب والعض وهمش كضرب : أكثر الكلام وامرأة همشى كجمزى كثيرة الجلبة والهامش حاشية الكتاب ... (الفيروزابادي، الصفحات ج٢-٣٣٥)، فهي ليست شديدة الصلة بمعنى التهميش الذي نريده ، وانما المراد المعنى الموضوع بالترجمة كمعادل للكلمة الاجنبية (marginal)، والهامش أنواع : ففيه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ..

- **مفهوم المركز**: **لغة:** من الجذر ركز يأتي بمعاني: ركز الرمح يركزه ويركزه غرزه في الارض كركزه. والمركز: وسط الدائرة ، وموضع الرجل ومحله وحيث أمر الجند أن يلزموه (الفيروزابادي، الصفحات ١٩٨-١٩٩)

اصطلاحا : مأخوذ من التعريف اللغوي لما له به من صلة، إذ يمثل الجهة المتمكنة والمركزية التي لها القوة والقدرة على التحكم والتسيير وله عدة تفرعات بحسب التخصص فمنه المركز السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ومنه السلطة والحكم ...

التفسير النفسي للأدب : من الضروري أن نعرف سبب ميلنا للتفسير النفسي للأدب دون غيره في خضم المناهج الأدبية والنقدية فلا نجد أحسن من كلام يقوله الدكتور عزالدين اسماعيل في افتتاحية كتابه أن " العلاقة بين الأدب وألنفس لا تحتاج إلى إثبات ؛ لأنه ليس

هناك من ينكرها وكل ما قد تدعو الحاجة إليه هو بيان هذه العلافة ذانها وشرح عناصرها. على أي نحو يرتبط الأدب بالتفس ؟ أيستمد الأدب من النفس أم تستمد النفس من الأدب ؟ أم أن العلاقة بينهما علاقة تبادل من التأثير والتأثر ؟

إن النفس تصنع الأدب ، وكذلك يصنع الأدب النفس .النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة . إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا (د.عزالدين، صفحة ٥) وهذا التفسير النفسي يعتمد على منهج له ظوابطه وألياته. المنهج النفسي هو واحدة من القراءات النقدية التي استهدفت قراءة النص الأدبي من خلال تحليل شخصيات الأدباء وتتبع اثارهم ومجريات حياتهم التي دونوها، واعتبار العمل الأدبي يعكس حياة الأديب أو الفنان هذا العمل الذي ينبع من الشعور أو اللاشعور على حد سواء

<u>خصائص المنهج النفسي</u> :

- يعرف شخصية الأديب من خلال شعره وما تتسم به نفسيته من ألم وحزن وفرح وغير ذلك
- تفسير الظواهر الفنيه والجوانب الجمالية استنادا الى عوامل نفسيه .
- تطبيق نتائج علم النفس على شخصيات الأدباء ونتاجهم الأدبي .
- البحث في أثر البيئة على شخصية الاديب عند التحليل . (زينب محمد نور و سارة تمكين شداد، ٢٠١٨، صفحة ١٠)

لسنا هنا بصدد الحديث عن التحليل النفسي الاكلينيكي ، ولا نعتبر الأديب مريضا نفسيا تلزمه المتابعة والعلاج ، وانما نتوخى الحديث عن الشعور واللاشعور- العقد – الخيال – الاحلام لدى الأديب لأنها مكونات طبيعية للنفس البشرية ، وتتجلى مخرجاتها في الأعمال الفنية ، النفس التي تأبى الانصياع والرضوخ للواقع المؤلم ، تحاول تجاوز العقبات من خلال مجموعة من الأليات أو الميكانيزمات كما اصطلح عليها علماء النفس .

أليات الدفاع النفسي :

أليات الدفاع النفسية التي درسها النفسانيون ، وأهمهم سيجموند فرويد ومن بعده ابنته أنا ، كثيرة ونلخص تعريفها في الميكانزمات الدفاعية بأنها : مجموعة من الأساليب السلوكية التي تلجأ اليها الأنا؛ لكي تحصل على حاجة وجد ما يعيقها، أو تبعد عن نفسها خطرا واقعا، أو تتحاشي خطرا متوقعا، ومن الملاحظ أن هذه الميكانزمات عامة، ومن الممكن أن توجد لدى الأسوياء، كما أنها تتصف بالشدة والتطرف لدي المرضي، وترتبط باللاشعور ارتباطا قويا، ولكن بعضها شعوري. ومن أبرز الآليات : الكبت (Represion)، والإسقاط (Projection)، والإزاحة أو الإبدال(Dısplacement)

والتعويض Compensation)، والتقمص ... (Identification)، والإنكار (Denial، والتسامي Sublimation والتبرير (Rationalization) (د. صهيب خالد، ٢٠١٧، الصفحات ٨-٩)

ولا نريد منها كما اسلفت سابقا دراسة السلوك للحكم عليه ومعالجته بل نبحث عن مجموعة من التفسيرات للأعمال الابداعية وفق اسقاطات نراها ملائمة للسلوك وقد نجانب الصواب لذلك هي مجرد اجتهادات .

سلطة القبيلة والانتماء:

كانت للقبيلة في المجتمع الجاهلي سلطة على أفرادها لا يمكنهم الفكاك منها حتى ولو أخرجوا عنها كرها أو طواعية حتى وان صار يعيش خارج اراضيها وإن جارت عليه في أمر ما أدى إلى استبعاده عن قومه يبقى منتميا في الغالب ومحبا لها ولا يزال يذكرها ويعلن ذلك في كل زمان ومكان . وهذا ما نلمسه في قول أحد الشعراء المخلوعين من قبيلته(قيس بن الحدادية) مأخوذ بجريرة ارتكبها حيث يقول :

خزاعة قومي فإن أفتخر بهم عزك ومعتصري والنسب

يواسي لذي المحل مولاهم ويكشف عنهم غموم الكرب

(أبو فرج الأصفهاني، الصفحات ج٢-٤)

والشاعر هو أقدر شخص على التعبير فقد ذكر السيوطي أن القبيلة - في العصر الجاهلي - إذا نبغ فيها شاعر، أتت إليها القبائل، وهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس؛ لأنه الحامي لأعراضهم، وهو المدافع عن أحسابهم، وهو الذي يخلد مأثرهم، ولم يكن يعدل فرحة القبيلة بالشاعر سوى فرحتها بغلام يولد أو فرس تنتج" (السيوطي، الصفحات ج٢-٤٧٣). فقد نشأ بين الشاعر وقبيلته ما يسمى" عقدا اجتماعيا وتحول إلى عقد فني جعله معبرا عن مشاعرها وتطلعاتها قبل أن يكون معبرا عن مشاعره واتجاهاته الشخصية ، لذا اتجهت الأنا نحو النحن من خلال الفخر والاشادة بالقيم الجماعية التي تمثلها القبيلة فكانت الغاية قبلية وإن تكن الوسيلة فردية" (يوسف، الصفحات ١٤٧-١٧٥).

ويمكننا اذن أن نعرف الانتماء(Belouging) بأنه انتساب الفرد إلى جماعة معينة أو حزب معين أو ناد .معين أو وزارة معينة أو مؤسسة عمل معينة . . بمعنى كونه عضوا فيها، أو واحدا منها له ما لأفرادها من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات . و واضح أن الانتماء يعنى بالمستوى الشكلي أكثر من الجوهري التلقائي. يرتضي معاييرها ولا يتوحد بها ولا يشاركها ميولها واهتماماتها. (طه و واخرون، صفحة ٦٨)وعلى هذا يجري موضوع بحثنا حيث الشاعر ملزم بهذا العقد الاجتماعي والعقد الفني رغم كونه مهمش لا يعبأ به ولكنه لا ينفك يقول :

أذكر قومي ظلمهم لي وبغيهم وقلة إنصافي على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا فلما تنهى مجدهم هدموا مجدي
(التبريزي، ١٩٩٢)

ورغم ما يحسه من ظلم الا أنه يفخر بانتمائه لقومه في مواضع كثيرة يذكر أنه من عبس إليهم ينتهي نسبه وأصله وإن ظلموه و إن عيروه بأمه بأنها سوداء غرابية (نسبة للغراب للتشاؤم)

يقول في ذلك :

وأنا المجرب في المواقف كلها من ال عبس منصبي وفعالي

منهم أبي شداد أكرم والد والأم من حام فهم أخوالي
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١١٧)

المبحث الثاني : تطبيقي

ولد عنترة بن شداد في قبيلة عبس لأب من الأسياد الصرحاء معلومي النسب ، ولأم مملوكة أصلها حبشية سوداء اكتسب منها سواد لونه وانتقل إليه حكم العبودية كما جرت عليه عادة العرب الجاهليين ، وقد بينا سابقا سلطة القبيلة والالتزام الذي ينشأ بين أفرادها ، فكان واقع حياته ومجتمعه وتكوينه النفسي عوامل أدت إلى ظهور صراع نفسي لديه شأنه شأن كل شخصية سوية ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن شخصية عادية فقد حباه الله بمجموعة من الصفات الخلقية والخلقية ما يؤهله لبلوغ مصاف الأشراف ونيل المجد

والصراع النفسي أمر محتم وهو في أبسط تعاريفه هو النزاع والتجاذب " الذي يدور رحاه بين جوانب النفس الثلاثة وهي الأنا والهو والأنا الأعلى. أو هو الصراع الذي ينشأ داخل النفس عندما يحبذ جانبأ منها أمرأ معينا بينما يرفضه جانب آخر، أو عندما تكون إمكانيات الفرد محدودة ولديه أكثر من دافع ملح في نفس الوقت الذي لا يستطيع فيه إلا أن يشبع واحدا فقط منها وهكذا.

و"الصراع داخل النفس شيء طبيعي وسوي، فكل منا يكابد هذا النوع من الصراع بدرجاته ومستوياته المختلفة ، شعورية ولاشعورية وكأن هذا الصراع من سنة الحياة . لكن الفشل في حله هو الذي قد ينتج عنه مرض نفسي.

بمعنى أن المرض النفسي ينتج عن فشل في حل الصراع داخل النفس البشرية ، لكن ليس كل صراع ولا كل فشل في حله بنتح بالضرورة مرضا نفسياً". (طه و واخرون، صفحة ٢٥٠)ومنه سنرى أن عنترة ليس مصابا بمرض نفسي بل قد كابد صراعا بسبب مجموعة من العقد الناجمة عن ظروفه الاجتماعية .

ويمكن دراسة هذا الصراع من خلال محاور أربعة كانت الأشد بروزا في شعره ، وهي العبودية والنسب المجهول و سواد اللون ثم الأعراف والتقاليد .

١- <u>العبودية :</u>

العبد مسلوب الحقوق ، مسلوب الإرادة لا يصلح إلا للعمل والخدمة ، لا يكون فارسا ولا شاعرا ، بل ينكر ذلك منه وعليه ، ولا يؤخذ بقوله، وإذا أثر عنه شعر أو نثر كان محل ازدراء وسخرية بل وتعجب كيف يقرض الشعر مملوك ؟

وعنترة فتح عينيه على هذا الواقع المرير ، وعند بلوغه عرف من أمه أنه ابن سيد من سادات عبس لا يعترف به ، وبدت عليه مخايل الفروسية والنبل مما خلق له عقدة نفسية جراء الصراع المتأجج بين واقعه وبين ما يصبو إليه من خلال مؤهلاته الجسدية والأدبية خاصة بعد تفتق قريحته الشعرية ، وقد حاول انهاء الصراع والركون الى الهامش من خلال قوله : العبد لا يحسن الكر والفر بل يحسن الحلب والصر .. لكن هذا لم ينه صراعه إذ بنهاية الحرب التي أبلى فيها بلاء شديدا يعود الحال على ما كان عليه . فأصبح هذا الحال عقدة نقص لديه وعقدة النقص (Inferiority Complex) هي مشاعر وأحاسيس مركبة تلازم الفرد الذي يحس نقصا عاما في شخصيته أو نقصا محد دا في جانب أساسي من جوانبها أو مكون هام من مكوناتها، سواء كان جسميا أم عقليا أم نفسيا ـ

ولقد أقام أدلر مدرسته المسماة بعلم النفس الفردي ..على فكرة محورية خلاصتها أن الإنسان في نموه وفي كفاحه في الحياة إنما يستهدف أساسا تعويض إحساسه بالنقص ، بمعني آخر التغلب على عقدة النقص حتى يحس القوة والسيطرة فيعوض بذلك قصوره " (طه و واخرون، صفحة ٢٩٣)

وكانت هذه العقدة عند عنترة شديدة وملازمة له ، تندفع من اللاشعور أحيانا ومن الشعور غالبا لديه فنجده يعبر عنها في مواضع كثيرة من شعره يقول :

أنا العبد الذي سعدي وجدي يفوق على السها في الارتفاع
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٩٦)

أنا العبد الذي يلقى المنايا غداة الروع لا يخشى المحاقا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٠٤)

لكنه من باب الإقناع العقلي لخصومه ومعانديه يقوم بمقابلة منطقية ، تدل على نباهة وبديهة قويه هذه المقابلة ينشئها عنترة في مجموعة من الأبيات المتشابهة ويقوم فقط بالاستبدال اللفظي ومن خلاله الاستبدال الدلالي ، لاحظ :

أنا **العبد** الذي خبرت عنه وقد عاينتني فدع السماعا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٩٠)

أنا **الرجل** الذي خبرت عنه وقد عاينت من خبري الفعالا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١١٢)

أنا **البطل** الذي خبرت عنه وذكري شاع في كل الافاق
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٠٩)

يقول عنترة ليس عيبا أن تكون عبدا لكن يجب أن تكون رجلا له أفعال كريمة وخصال مسموعة فيصير بذاك بطلا يشيع ذكره في كل الأفاق .

بل يمكنه ومع كونه عبدا أن يساوي ألف حـر ويلاقيهم في الحروب وينتصر عليهم

أنا **العبد** الذي خبرت عنه يلاقي في الكريهة **ألف حر**

(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٨٦)

ويواصل عنترة نرجسيته الايجابية معوضا بذلك احساسه بالنقص في حريته وانسانيته ، فيشير الى أن عزة نفسه هي أساس بلوغ المراتب العلية

أنا العبد الذي بديار عبس ربيت بعزة النفس الأبية

سلوا النعمان عني يوم جاءت فوارس عصبة النار الحمية

أقمت بصارمي سوق المنايا ونلت بذابلي الرتب العلية

(التبريزي، ١٩٩٢، الصفحات ٢١٧-٢١٨)

ولا يكتفي عنترة عند حد الفخر بنفسه بل يدعو قومه للفخر بكونه واحدا منهم ، عبد اسمه عنتر

بني عبس سودوا في القبائل وافخروا بعبد له فوق السماكين منبر

إذا ما منادي الحي نادى أجبته وخيل المنايا بالجماجم تعثر

سل المشرفي الهندواني في يدي يخبرك عني أنني أنا عنتر
(التبريزي، ١٩٩٢، الصفحات ٧٩-٨٠)

فكفاح عنترة في حياته استهدف تعويض احساسه بالنقص ، والتعويض من الأليات الدفاعية الطبيعية لدى الانسان و" هو حيلة من حيل التوافق تلجا إليها الشخصية أو النفس البشرية أو الأنا بشكل شعوري أحيانا، وبشكل لا شعوري أحياناً أخرى، وأحيانا ثالثة تجمع بين الشكلين. وتلجأ الشخصية إلى هذه الحيلة حين تحس نقصا في جانب فتريد تعويض هذا النقص والتغلب عليه بتقوية جانب آخر، " وهذا ما نجده جليا في شعر عنترة فهو لا ينفك يذكر أنه عبد ويكررها كثيرا .

والتعويض الذي لجأ إليه الشاعر هو نوع من التعويض الزائد Overcompensation تعويض زائد

لقد شاع استخدام هذا المفهوم في كتابات أدلر« واعتبره استجابة طبيعية لدى الأفراد نتيجة الوجود عقدة النقص لديهم، ذلك أن الشعور بالنقص يجعل الفرد مهدداً على الدوام، وأنه لا سبيل ل لتغلب على ذلك إلا بالتعويض ونشدان الكمال أو التفوق وكلما استحكم الإحساس بالنقص لدى الفرد " (طه و واخرون، صفحة ١٣١) فعنترة صار ينشد الكمال بل يرى أنه بلغه والاخرون قصروا عن ذلك وهم دونه وهذا في قوله :

سموت الى عنان المجد حتى علوت ولم أجد في الجو ساعي
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٩٦)

ويبني بحد السيف مجدا مشيدا على فلك العلياء فوق الكواكب
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٣٧)

ولي بيت علا فلك الثريا تخر لعظم هيبته البيوت

(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٣٨)

ويقول بوضوح في هذه الأبيات عن طلبه المجد

فلئن بقيت لأصنعن حتى بلغت الى ذرى الجوزاء
ما ساءني لوني واسم زبيبة خوف الممات وفرقة الأحياء
من كان يجحدني فقد برح الخفا ولأصبرن على قلى وجواء
ولأحمين النفس عن شهواتها ما أرتجيه أو يحين قضائي
ولأجهدن على اللقاء لأرى حتى أرى ذا ذمة ووفاء
فلأغضبن عواذلي وحواسدي ما كنت أكتمه عن الرقباء
فهناك لا ألوي على من لامني إذ قصرت عن همتي أعدائي
مازلت مرتقيا الى العلياء عجائبا ولأبكمن بلاغة الفصحاء

(التبريزي، صفحة ٢٢)

إن هذا الاسهاب في الفخر بالنفس هو كما قلنا من باب التعويض الزائد ، وهو ايجابي يعطي النفس الثقة اللازمة في مقابل ما تتعرض له من محاولة طمس وتقليل شأن يقول من خلاله المهمش في مجتمعه ،ها أنا أثبت نفسي بجدارة وليست عوامل التهميش إلا أوهاما في رؤوسكم .

٢- <u>النسب المجهول</u> :

كانت العرب قديما تعتد بأنسابها ومعرفة أباءها وقلما يظهر مجهول نسب في أحياءهم ، حتى إن البغي إذا حبلت سألوها : هو ابن من ؟ فتقول هو لفلان فكان من لا ينسب لأب يبقى وضيعا يبعد عن مجالس الشرف ولا يقبل منه عدلا ولا صرفا ، وعنترة كان معدودا في جملة العبيد ووجد نفسه أسير عقبات اجتماعية تجسدت خصوصا في عدم اعتراف ابيه به حتى أثبت بطولة وشجاعة في الذود عن حمى قبيلته ثم أنه كان يعير بقلك نسبه عندما يفتخر السادة بنسبهم

يقول في ذلك :

ومن قال : إني سيد وابن سيد فسيفي وهذا الرمح ، عمي وخاليا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٢١٦)

ويقول ايضا قبل ان يعترف به أبوه :

جوادي نسبتي ، وأبي وأمي حسامي، والسنان إذا انتسبنا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٩٥)

أو أنكرت فرسان عبس نسبتي فسنان رمحي والحسام يقرلي

وبذابلي ومهندي نلت العلى لا بالقرابة والعديد الأجزل

(التبريزي، ١٩٩٢)

إن إدراك عنترة لأهمية النسب في حياة المجتمع القبلي العربي وشعوره الدائم بعقدة النقص في هذا الجانب دفعه للتعويض من خلال ألية التسامي عن هذه العقدة وذلك بتجاوزها على انها ليست معيارا حقيقيا بل المعيار عنده بالانتساب الى المعالي والحرب ، الى السيف والرمح .

التسامي إحدى عمليات التوافق وأساليبه التي يلجأ إليها الأنا في حله للصراعات النفسية التي تقع فيها الشخصية وذلك بأن يقوم بتحويل طاقة دافع مدان من موضوع أصلي تريد أن توجه إليه إلى موضوع آخر بديل مقبول اجتماعيا. وهذه العملية تتم أساسا على مستوى لا شعوري . (طه و واخرون، صفحة ١١٦)

وكل هذا لم ينج عنترة من لزوم الوصم له ومن ظلم الأقربين خصوصا وأدى ظلمهم لمثل حادثة افتراء زوجة أبيه عليه زورا وتعرضه للضرب حتى أشفقت عليه يقول :

المال مالكم والعبد عبدكم كأنها صنم يعتاد معكوف

تجللتني إد أهوى العصا قبلي فهل عذابك عني اليوم مصروف
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٩٩)

ولازمه الحزن بعدها والانطواء لفترة حتى أن قوما أغاروا على ديار عبس وسلبوهم أموالا ، وتغلبوا عليهم ، فأسرع شداد يستنهض عنترة للذود عن اعراضهم وحياضهم ، فكان الجواب من العبد أن العبد لا يحسن الكر والفر بل يحسن الحلب والصر كما اسلفنا سابقا ، ونال على اثرها الاعتراف بأبوة شداد له

فكان بعدها يقول مفاخرا :

من ال عبس منصبي وفعالي
وأنا المجرب في المواطن كلها
والأم من حام فهم أخوالي
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١١٧)
منهم أبي حقا، فهم لي والد

ويقول في نسب أمه

يقدمه فتى من خير عبس
أبوه ، وأمه من ال حام
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٤٥)

بعد ثبوت النسب الى عبس من جهة الأب ، بقي عنترة يعير بنسبه لأمه

ينادونني في السلم يا بن زبيبة
وعند صدام الخيل يا بن الاطايب
(التبريزي، ١٩٩٢)

وهو يعجب من قولهم ولم يزده ذاك إلا اصرارا على بلوغ المعالي والافتخار بأمه ونسبها لآل حام من بني نوح حيث تقول كثير من الروايات أن حام هو والد كثير من البشر ومنهم السود .

٣- <u>سواد البشرة :</u>

الاختلاف في الشكل واللون مظهر من مظاهر التفرقة والعنصرية عند كل البشر، والسود على وجه الخصوص تعرضوا للاضطهاد والاستعباد ، وكان السواد عند العرب وصما ونقصا ودافعا للاستبعاد والتهميش .وهذا راجع لعدة أسباب أهمها تشاؤمهم من هذا اللون لما فيه من ايحاءات لليل المظلم والموت والغراب يقول ابو هلال العسكري " والورقة سود لا يخلطه بياض كدخان الرمث وهذا ألأم الألوان (الخطيب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٦)

فلم يكونوا يرون في الرجل الأسود أكثر من كونه رجلا دنيئا سيء الطبع وهي نظرة دونية عانى منها عنترة ، وشكلت عنده عقدة نفسية ، لكنه لم ينكر سواد أمه ولا استعر منه بل نجده يقول مادحا لها:

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ضبع ترعرع في رسوم المنزل

الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

والثغر من تحت اللثام كأنه برق تلألأ في الظلام المسدل (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٣٤)

وأكثر أيضا من ذكر سواده في كثير من قصائده ولكنه إذا جاء به في شطر لا يطيل حتى يأتي بالمقابل الإيجابي ويظهر المعنى الخفي الذي يرى أتهم يغفلون عنه أو يتغافلون :

ومن قال إني أسود ليعيبني أريه بفعلي أنه أكذب الناس (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٨٨)

وان يعيبوا سوادا قد كسيت به فالدر يستره ثوب من الصدف

سوادي بياض حين تبدو شمائلي (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٠٣)

شبيه الليل لوني ، غير أني وفعلي على الانساب يزهو ويفخر

جوادي نسبتي ، وأبي وأمي (التبريزي، ١٩٩٢)

بفعلي من بياض الصبح أسنا

حسامي ، والسنان إذا انتسبنا (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٩٥)

يقوم عنترة هنا بعملية التكوين العكسي و نقصد بالتكوين العكسي مبالغة الشخص في اظهار مشاعر و صفات و انفعالات و رغبات و دوافع مقبولة اجتماعيا لإخفاء ما لديه من انفعالات و رغبات غير مقبولة اجتماعيا فلو أنه غضب وقتل كل من عيره بسواد أمه وسواده

لما أبقى على أحد في القبيلة ، بل لجأ لهذه الحيلة لإبراز عكس المواقف وإبراز الجوانب المضيئة الجيدة فيما يراه الأخرون سيئا مثل قوله:

فإن تك أمي غرابية من ابناء حام بها عبتني

فإني لطيف ببيض الظبى وسمر العوالي اذا جئتني
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٢٠١)

ولكن كل ما كان يقوم به شاعرنا لم ينجه من تجني قومه ومواصلتهم في ازدراءه وتهميشه ، يقول :

وأرضى بالإهانة مع أناس محلك لا يعادله محل

وقد أمسوا يعيبونني بأمي ولوني كلما عقدوا وحلوا

ينادونني وخيل الموت تجري أراعيهم ولو قتلي أحلوا
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١١٦)

فالحيل النفسية التي تلجأ اليها الشخصية العنترية ، تنفعها في ذاتها فتتركها في حالة اتزان ورضى نفسي لا يزعزعه قول قائل ولا لحي لاح ، بل كان يزيد في إصراره ومضيه نحو العلا وطلب المجد

فقد ذكر صاحب الديوان أنه جلس يوما في مجلس من بعدما كان أبلى واعترف به أبوه و أعتقه ، فسابه رجل من بني عبس ، وذكر سواده وأمه وإخوته ، فسبه عنترة وفجر عليه ،بل ان الرجل ادعى أنه أشعر من عنترة فانبرى له الشاعر العبسي الفحل وكان هذا سبب كتابة معلقته الشهيرة المسماة بالمذهبة (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٤٧)

وصم السواد يقض جنب عنترة ويدرك أنه من بين الاسباب التي تجعله هامشيا في قومه ، لا يهنأ بالالتحاق بمركز القبيلة حتى بعد اعتراف أبيه به ، فاللاشعور عنده لم يتخلص من هذه العقدة فالأنا دائم الصراع مع الهو والاحتكام عنده دائما الى الهو الأعلى وهو المبادئ والقيم والأخلاق الحميدة ومعاني الجمال في السواد كالليل بنجومه وكالقمر الذي لا يظهر جماله إلا بليل والمسك أسود في لونه عطر في رائحته.

٤- مخالفة الأعراف :

عرف المجتمع العربي بالغيرة الشديدة على المحارم والمحافظة على العفاف وصون المرأة عن كل ما يدنسها ، بل إن الحرة لم تكن تعرف بالزنا الذي يشيع بين الإماء وذلك ما دعا هند بنت عتبة عند مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تستغرب وتقول باستفهام استنكاري : أو تزني الحرة ؟ والغزل و التشبب بالنساء كان كذلك من المحرمات وخاصة يتجنب الشاعر ذكر اسم المحبوبة أو ذكر اسم قبيلتها أواسم أبيها و من وقع في هذا المحظور ربما قتل بذلك وأقل عقوبة قد تقع عليه هي الطرد ليصبح خليعا أو حرمانه من التزوج بمن تشبب بها .

وعنترة عرف بحبه لأبنة عمه عبلة يقول مصرحا بذلك :

إذا كان دمعي شاهدي كيف أجحد ونار اشتياقي في الحشا تتوقد

وهيهات يخفى ما أكن من الهوى وثوب سقامي كل يوم يجدد

أقاتل أشواقي بصبري تجلدا وقلبي في قيد الغرام مقيد

إلى الله أشكو جور قومي وظلمهم إذا لم أجد خلا على البعد يعضد

خليلي أمسى حب عبلة قاتلي وبأسي شديد والحسام مهند
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٥٤)

لكن لم يؤثر على وجه التحقيق أن عبلة بادلته الحب ، بل أنه يصرح في كثير من قصائده بشعوره بالتهميش من طرفها وللأسباب نفسها التي أتينا على ذكرها ، وخاصة سواد لونه .

لا تضحكي مني عبيلة ، واعجبي خلق القميص وساعدي مخدوش

ضحكت عبيلة إذ رأتني عاريا مني إذا التفت علي جيوش
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٨٩)

ويخاطبها في موضع اخر مفتخرا بنفسه ومتحديا بأنها لن تجد مثيلا له :

وإن أبصرت مثلي فاهجريني ولا يلحقك عار من سوادي
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٦٥)

ويقول أيضا :

فعجبت منها كيف زلت عينها لا خير فيك كأنها لم تحفل

فتضاحكت عجبا ، وقالت قولة عن ماجد طلق اليدين شمردل
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٢٠)

ففي الأبيات السابقة دليل على نوع من الازدراء من قبل محبوبته عبلة ، فينبري المحب الولهان إلى السعي للتعويض عما فاته من حبها بالافتخار بشجاعته واستبساله في الحروب حتى يرضيها ،بل ومن عجيب ما يفهم من شعره أنها غير راضية عنه لسواده !

دعني أجد الى العلياء في الطلب وأبلغ الغاية القصوى من الرتب

لعل عبلة تضحي وهي راضية على سوادي وتمحو صورة الغضب

إذا رأت سائر السادات سائرة تزور شعري بركن البيت في رجب

يا عبل قومي انظري فعلي ولا تسلي عني الحسود الذي ينبيك بالكذب
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٣٦)

ثم تمر بعنترة فترات أقرب ما تكون الى اليأس من نيل مبتغاه فيبث ذاك في اشعار:

حسناتي عند الزمان ذنوب وفعالي مذمة وعيوب

ونصيبي من الحبيب بعاد ولغيري الدنو منه نصيب

كل يوم يبري السقام محب من حبيب وما لسقمي طبيب

فكأن الزمان يهوى حبيبا وكأني على الزمان رقيب
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٢٧)

و كما اسلفنا صاحب الشخصية القوية السوية يخالجه الخيال والأحلام لتسلية نفسه والترويـح عنها وهو أن "الخيال يخفف عن الانسان الكثير من الضغوط الواقعة عليه ، و من الممكن أن يصوغ الانسان العديدمن السيناريوهات في عقله و بها يجد العديد من الحلول ، اذا ما استخدمها استخداما أمثل في الوصول إلى نتائج تحقق الراحة النفسية ، و لكن تصبح حالة مرضية باستمرارها و تحويل الواقع الى أحلام يقظة و تخيلات ، فلذلك لابد و ان تخضع الى ضوابط و محددات لعملها ، لاسيما ان مكون اساسي في حياة الانسان طفلا كان او راشدا ، سليما كان او مريضا ، مستيقظا كان او حالما اثناء نومه ، فالتخيل او الخيال هو الرجوع الى عالم الخيال لتحقيق ما عجز عن تحقيقه في الواقع (المركز الجامعي بالحاج بوشعيب، ٢٠١٦/٢٠١٧)

يقول في ذلك :

إن طيف الخيال يا عبل يشفي ويداوى به فؤادي الكئيب
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٢٠)

ويقول ايضا :

أشاقك من عبل الخيال المبهج فقلبك منه لاعج يتوهج

فقدت التي بانت فبت معذبا وتلك احتواها عنك للبين هودج
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٤٠)

إن ورود النداء في أشعار عنترة لمحبوبته عبلة بشكل مبالغ فيه فلا تكاد تخلو قصيدة من ذكرها بأسماء عديدة : عبلة وعبيل وبنت مالك وبنت العبسي ...ومحاولته لفت انتباهها لبطولاته نوع من اظهار النرجسية الايجابية ونوع من التعويض النفسي في الاستبسال والشجاعة في الحروب، ثم توثيقها والافتخار بها وحق له ذلك .

بل إني أزعم أن لولا حب عنترة لعبلة لكان تخلص من صراعه وحسمه إلى صالح الانضمام الى المهمشين وتمرد عن وضعه قولا وفعلا وخرج كما فعل الصعاليك المعروفون ودليل ذلك قوله:

ولولا حب عبلة في فؤادي مقيم ما رعيت لهم جمالا

خدمت أناسا واتخذت أقاربا لعوني ولكن أصبحوا كالعقارب

ينادونني في السلم يا بن زبيبة وعند صدام الخيل يا بن الاطايب

ولولا الهوى ما ذل مثلي لمثلهم ولا خضعت أسد الفلا للثعالب
(التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ٣٥)

ويقول في موضع اخر

ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم اذا جفوه ويسترضي اذا عتبوا

قد كنت فيم مضى أرعى جمالهم واليوم أحمى حماهم كلما نكبوا

واضح جدا من أشعار عنترة تحمله وصبره على الظلم والتعيير له بما ليس له فيه يد في قبيلته منذ نعومة أضافره إلا لأسباب قوية وأهمها تعلقه الشديد بعبلة إلى حد العشق ، تحمل الرعي والعمل الشاق ،وقاتل في كثير من المعارك ليسترد ما يسلب من قومهما كرامة وحبا لها ، وفي احدى قصائده يشكو المصائب والاهوال التي لاقته بأرض العراق محاولا جلب المهر المفترض من عمه مالك ،ثم يخذل ولا ينال مراده فيتعلل بالحلم والتمني .

الخاتمة

عنترة العبسي شاعر فحل وفارس مغوار لا يشق له غبار قد اجتمعت فيه كل الخصال الحميدة من خلق وخلق وفي المقابل اجتمعت عليه عوامل سلبية لا يد له هو فيها وهي العبودية والسواد والحب الميؤوس منه وأثرت في نفسه ، وخلقت له صراعا عنيفا ، فلا هو عبد أسود من عامة العبيد ، يرضى بذلك ويبقى على هامش مجتمعه ،لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ولا هو نال المكانة التي يستحقها بجدارة واقتدار ، وقد أسهب في ذكر هذه المنغصات في شعره ، مما يدل على وجود هذه المنغصات على شكل عقد نفسية لا تبارحه

وتقض مضجعه ، لكن شخصيته القوية لم تستسلم للأمراض النفسية والوهن بل قد اندفع بمجوعة من الأليات الشعورية واللاشعورية ينظم دررا يبن فيها قدرته الفنية واقتداره على أخذ مكانته بجدارة وبكل حزم وبكل قوة بيان وفصاحة لسان ومنطق حكيم :

اني امرؤ من خيرعبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل

إن كنت في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل

و أنكرت فرسان عبس نسبتي فسنان رمحي والحسام يقر لي

وبذابلي ومهندي نلت العلى لا بالقرابة والعديد الأجزل

الساق منها مثل ساق نعامة ضبع ترعرع في رسوم المنزل
والشعر منها مثل حب الفلفل

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها برق تلألأ في الظلام المسدل

والثغر من تحت اللثام كأنه (التبريزي، ١٩٩٢، صفحة ١٣٤)

وفي هذه الابيات اجمل فيها عنترة كل السلبيات في حياته وقابلها بالإيجابيات عنده فهو في توازن يجعله

يتغلب على الصراع الذي يعيشه وكان له من قوة العزيمة ورباطة الجأش ثم الشجاعة والقوة في الحروب وفي قرض الشعر، ثم تحليه بكريم الخلق ما جعله يتغلب على هذه العوامل ويضع لنفسه مكانة بين قومه وفي تاريـخ العرب .

References

- Abu Faraj Al-Isfahani. (no date). Songs. Cairo: Al-Taqadum Press.
- Ismail D. Ezzedine. (no date). Psychological interpretation of literature. Cairo, Egypt: Gharib Library.
- Khatib Tabrizi. (1992). Explanation of Diwan Antara. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Al-Fayrouzabadi. (no date). Ocean Dictionary (Volume 2). (Magdy Fathi Al-Sayyid, editor) Cairo, Egypt: Al-Tawfiqiyya Library.
- University Center in Hajj Bouchaib. (2016/2017). A lecture entitled Defensive Mechanisms. Ain Temouchent, Algeria.
- Khalif Youssef. (no date). Studies in pre-Islamic poetry. Cairo: Gharib Library.
- Dr. Shorouk Abdel Majeed Salman Al Khatib. (April, 2018). The color complex among foreigners in pre-Islamic Arabic poetry. Educational Studies, pages 343-344.
- Dr. Faraj Abdel Qader Taha, and others. (no date). Dictionary of psychology and psychoanalysis. Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabi for Printing and Publishing.
- Zainab Muhammad Nour, and Sarah Tamkeen Shaddad. (2018). The psychological approach in literary criticism. 10. Ministry of Higher Education - Al-Qadisiyah University - College of Arts.
- Abdul Rahman Jalal al-Din al-Suyuti. (no date). Al-Mizhar in Linguistic Sciences (Volume 2). (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, editor) Beirut: Dar Al-Fikr.
- Majd al-Din al-Fayrouzabadi, and Fathi al-Sayyid T. Magdy. (Bit). Ocean dictionary. Cairo, Egypt: Al-Tawfiqiyya Library.
- And others d. Suhaib Khaled. (January, 2017). Defense mechanisms used by late secondary school students. Educational Sciences, Part 1.